البحث السابع

الصـراع التركي- الايراني وانعكاسـاته السـلبية على العـراق ودوره الاقليمي

أ.د. بشير ابراهيم لطيف

The Turkish–Iranian conflict and its negative repercussions on Iraq and its regional role

Prof. Bashir Ibrahim Latif, PHD

Al-Salam University College

الصراع التركي- الايراني وانعكاساته السلبية على العراق ودوره الاقليمي

أ.د. بشير ابراهيم لطيف

كلية السلام الجامعة

المقدمة

يتناول هذا البحث ابراز دور العراق بوصفهِ دولةً محوريةً كانت ولاتزال تلعب دورا مهما واستراتيجياً على المستوى الاقليمي والدولي فقد أصبح العراق وبهذا الموقع الجغرافي المهم محط انظار معظم الدول التي تسعى للسيطرة والهيمنة على مقدار العراق وامكانياته الاقتصادية الهائلة كما يتناول هذا البحث ظاهرة سياسية وهي (الصراع) بين كل من تركيا وإيران في منطقة الشرق العربي لاسيما في اهم تلك المناطق حساسية وهي العراق والخليج العربي.

والبحث هنا بمضمونه العام يأتي بوصفه فرعا من فروع الجغرافية السياسية (الجيوبولتيكس) الذي يهتم بدراسة الاقاليم والوحدات السياسية.

ان هذا الصراع الذي برز بوضوح بعد أحداث عام ٢٠٠٣ في العراق وأخذ أبعاداً أوسع مما كانت تطمع به تلك الدول في منطقة المشرق العربي كون هذه المنطقة تعد من اهم المناطق الحيوية والاستيراتيجية في العالم لما تمتلكه من ثروات نفطية ومعالم حضارية وعلمية وثقافية فضلا عن موقعها الجغرافي والذي يعد كحلقة وصل بين الشرق والغرب ولديها من المقومات والمرتكزات التي اهلتها بأن تؤدي دورا مهما ومميزا في العلاقات الدولية سواء في منطقة الخليج والمشرق العربي بعامة او في العراق بخاصة، الا ان الدول الاقليمية استغلت الصراعات والفوضى التي شهدتها المنطقة ومنها العراق نتيجة احتلاله من قبل الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها وكذلك الفوضى التي حدثت في معظم الدول العربية ومنا دول المشرق العربي بما يسمى(ثورات الربيع العربي) لذلك بدأت بعض الدول تطمع بغرض الهيمنة والنفوذ على دول المنطقة وانتهاز الفرص بسبب ضعف النظام العربي، لكي تضع يدها وتبسط نفوذها للسيطرة على ثرواتها

ومقدراتها ومن هذه الدول الاقليمية (تركيا وايران) فضلاً عن الكيان الاسرائيلي.

مشكلة البحث

اصبحت منطقة المشرق العربي ساحةً للتنافس بين الدول الاقليمية والدولية لما لها من اهمية من الناحية الاستراتيجية والجيوبولتكية ووجود الاحتياطي الكبير من النفط والغاز، فضلاً عن موقع المنطقة في قلب العالم القديم وهو محطّ أنظار واهتمامات الدول الاقليمية والدولية وكان في مقدمة هذه الدول تركيا وإيران التي وجدت بعد عام ٢٠٠٣ مسوغا للتطفل في المنطقة ومنافسة تركيا فبرزت مشكلة الدراسة هنا بالسؤال عن ما الابعاد الجيوبولتكية للصراع التركي-الايراني في منطقة المشرق العربي وخاصة في العراق. وما المتغيرات الجيوبولتكية التي حزت هذا الصراع

فرضية البحث

إنّ فرضية البحث قائمة أساساً على ان أبعاد الصراع بين تركيا وإيران تحكمه عدة متغيرات تميزت بها دول المشرق العربي بعامة والعراق بخاصة وبين تركيا وإيران من جهة اخرى.

هدف البحث

يهدف البحث إلى إبراز أهمية العراق ومنطقة المشرق العربي من خلال طبيعة الصراع التنافسي بين الدولتين (تركيا وإيران) وذلك من خلال الكشف عن أهمية العراق والمنطقة من كافة الجوانب الجغرافية والسياسية والاقتصادية.

بعض المفاهيم والمصطلحات الواردة في البحث

١- الصراع:

وهو عملية من العمليات المصاحبة لإعداد القرار السياسي ينشب إذا تعارضت اهداف الفاعلين السياسيين بصورة مباشرة وحينما يعلن أحد طرفي الصراع خسارة مباشرة للطرف الثاني.

٢- النفوذ:

هو العمل على تحقيق اهداف تستخدم فيها وسائل مختلفة منها الاكراه او الارغام. وفيها التراضي او الاغراء وقد يكون بالاثنين معا. أي الترحيب والترغيب وغالبا ما يشير النفوذ الى قوة غير نظامية تتمثل في القدرة على التأثير في صانعي القرارات السياسية وتوجيه الراي العام من اجل تحقيق اهداف معينة.

الجيوبولتيكس:

يعرف الجيوبولتيكس عند (جيفري باركر) هو دراسة العلاقات الدولية من منظور مكاني او جغرافي في حين يرى (جون اغنيو) بانها حقل من حقول الجغرافية الذي يعين الافتراضات والتفاهمات التي تدخل في صنع السياسة العالمية.. وعليه نجد ان الاستراتيجية التي تضعها كل من تركيا وإيران نحو المنطقة تابعه من توجهات جيوبولتكية للوصول الى اهدافهم استراتيجية.

موقع العراق واهميته الاستراتيجية (فلاح جمال معروف و اخرون، ٢٠١٣، الصفحات ١-٦)

يعدّ الموقع الجغرافي في مقدمة المقومات الجغرافية التي تصنع الحقائق والمعايير المؤثرة في الوحدة السياسية. حيث تبرز اهمية الموقع الجغرافي في النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والفكرية ومن ثم يصبح للموقع وزنا وتقديرا فيما يتعلق بوحدة الدولة والدور الذي يمكن ان تلعبه على الصعيد الاقليمي والدولي وبالنسبة للعراق فأنه يقع في القسم الجنوبي الغربي من قارة آسيا في أقصر مسافة بين البحر المتوسط والخليج العربي وهو بهذا الموقع يمثل القسم الشمالي الشرقي من الوطن العربي, فلكيا يقع العراق بين دائرتي عرض ٢٩,٦ و ٣٧,٣ شمالا بينهم خطي طول ٣٨,٢٩ و ٤٨,٣٦ شرقا وهو بهذا يقع في القسم الجنوبي من المنطقة المعتدلة الشمالية .

وعلى الرغم من وقوع العراق في منطقة تحيطها خمسة بحار (البحر المتوسط والبحر الاحمر والبحر الاسود وبحر قزوين والخليج العربي) الا ان حدوده البحرية لا تتجاوز (٦٠) كم مع الخليج العربي بينما تبلغ حدوده البرية (٣٥٠٠ كم).

وكان لهذا الموقع إثر مهم في التجارة بين الشرق والغرب ايام العباسيين لان قناة السويس لم تكن قد فتحت بعد اما بالنسبة للأهمية العسكرية، فقد وصف المختصون بالشؤون العسكرية موقع العراق بانه في غاية الاهمية، لا لأنه يقع ضمن الجسر الارضي الذي يربط القارات الثلاث والتي تشكل العالم القديم (اسيا وافريقيا واوربا) وانما ايضا لوجود ابار النفط.

وقد برزت هذه الاهمية خلال الحرب العالمية الثانية والسنوات التي تلتها، كما أثر هذا الموقع في احوال العراق الاقتصادية فقد كانت القوافل تمر من دول اسيا من طريقها الى اوربا.

اما عن اهمية العراق ومكانته الحضارية فالعراق كان وما زال مركزا حضاريا واقتصاديا

مهمـا في العالـم. لقـد تكونـت عـلى ارضـه أقـدم الحضـارات العريقـة في اور وبابـل ونينـوى والحـضر وبغـداد والبـصرة والكوفـة وسـامراء. تـروي للعالـم عـلى مـر العصـور قصـة الانسـان العراقـي واسـهاماته الكبـيرة في بنـاء الحضـارة الانسـانية واما بالنسـبة للأهميـة الإسـتراتيجية لموقـع العـراق الجغـرافي فأنـه يؤثـر تأثـيرا كبـيرا في سياسـة الدولـة الداخليـة والخارجيـة وفي بنـاء قوتهـا الذاتيـة.

فالأحـداث الدوليـة التـي تقـع عـلى مقربـة مـن موقـع الدولـة الجغـرافي تؤثـر بـلا شـك بصوره واضحـة في رسـم مواقفهـا السياسـية مـن طبعـة الاحـداث الجاريـة وهنـا يقـول سـبايكمان (ان قـوة الدولـة تعتمـد اعتمـادا كليـا عـلى موقعهـا الجغـرافي فضـلا عـن مواردهـا الطبيعيـة والاقتصاديـة وحجـم سـكانها وتطورهـا التقنـي).

مـن هنـا نجـد ان الـصراع الامريكـي الايرانـي مـن جهـة والـصراع التركـي الكـردي مـن جهـة اخـرى قـد أثـر كثـيرا عـلى العـراق وأصبـح يشـكل سـاحةً لـصراع تلـك الـدول التـي كثـيرا مـا تحـاول التدخـل في شـؤونه الداخليـة وتحـاول اضعـاف دوره الاقليمـي والعربـي.

وفيمـا يتعلـق بالموقـع البحـري فالعـراق يطـل عـلى الخليـج العربـي مـن رأس البيشـه وحتـى مينـاء ام قـصر بسـاحل لا يتجـاوز ٣٠ ميـل بحـري (٥٦,٥٥ كـم) مقارنـة بالحـدود البريـة التـي تبلـغ ٣٤٢٤ كـم وهكـذا فـأن ضيـق المنفـذ البحـري للعـراق، كان مثـار شـكوى دائمـة بسـبب الـضرر الـذي لحـق بـه عنـد تخطيـط بريطانيـا للحـدود. اذ تـم ترسـيم الحـدود بطريقـة حرمـت العـراق مـن الخـروج عـلى الخليـج العربـي. وعـلى الرغـم مـن ذلـك كلـه يعـد العـراق دولـة خليجيـة رئيسـة امـا عـن موقـع الجـوار. ويقصـد بـه موقـع الدولـة عـلى خريطـة القـارة التـي تحتـل مكانهـا فيهـا مـن الكـرة الارضيـة، وعـدد الـدول التـي تجاورهـا وتشـاركها الحـدود السياسـية التـي تفصـل بينهـا وبـين تلـك الـدول ومـا يتركـه ذلـك الموقـع مـن أثـر في العلاقـات الدوليـة التـي تربـط بـين الـدول المتجـاورة.

وفيمـا يخـص العـراق ودول الجـوار الجغـرافي المحيـط بـه، فقـد كان الاحـداث التاريخيـة التـي شـهدتها المنطقـة أثـر في اخضـاع المعطيـات الجغرافيـة لهـا. فقـد ادى انهيـار الحكـم العثمانـي في الحـرب العالميـة الاولى الى رسـم الحـدود وعقـد الاتفاقيـات بـين الـدول الظافـرة (المنتـصرة بالحـرب) وكانـت الحـدود السياسـية المعروفـة للعـراق هـي الحـدود الشرقيـة التـي رسـمت بموجـب معاهـدات ارضروم التـي عقـدت بـين الدولـة العثمانيـة وإيـران. امـا حـدود العـراق مـع تركيـا وسـوريا والاردن والمملكـة العربيـة السـعودية في حـدود سياسـة رسـمت عـلى خريطـة التقسـيم للمـشرق العربـي الى مناطـق نفـوذ فرنسـية وانكليزيـة وترتـب عـلى

هـذا الواقـع التاريخـي ان ورث العـراق حـدودا لا تتماثـل في اطوالهـا مـع دول الجـوار الجغـرافي وبذلـك حـاد العـراق دولتـين غـير عربيتـين همـا إيـران وتركيـا مـا نسـبته ٤٦٪ مـن مجمـوع حـدود الدولـة.

لمحه عن حدود العراق التركية الايرانية

الحـدود مـع تركيـا: تبلـغ طـول الحـدود العراقيـة التركيـة ٣٧٧ كـم وتبـدأ مـن جهـة الغـرب مـن نقطـة التقـاء نهـر الخابـور بنهـر دجلـة شـمال قريـة فيشـخابور الى ان يلتقـي بالحـدود العراقيـة التركيـة الايرانيـة وممـا يلاحـظ عـلى خـط الحـدود انـه لا يمثـل خطـا طبيعيـا للاتصـال الجغـرافي بـين الدولتـين عـلى الرغـم مـن انـه يمـر عـبر منطقـة معقـدة التضاريـس تحـدد الحركـة في اجـزاء عديـدة منهـا.

ان هـذه الحـدود عـلى الرغـم مـن كونهـا حـدود طبيعيـة لكنهـا مـن الناحيـة السياسـة قـد اسـتغلت للتدخـل في شـؤون العـراق وهـذا مـا سـيتم ذكـره لاحقـا.

امـا الحـدود الشرقيـة العراقيـة الايرانيـة فأنهـا تمتـد مـع إيـران مـن النقطـة التـي تبـدأ فيهـا الحـدود التركيـة العراقيـة وتمتـد لمسـافة ١٢٠٠كـم حتـى نقطـة التقـاء شـط العـرب بالخليـج العربي.

المقومات الجغرافية للعراق والصراع التركي الايراني:

شـكلت المقومـات الجغرافيـة المتميـزة لمنطقـة المـشرق العربـي بعامـة والعـراق بخاصـة أحـد اهـم بواعـث الـصراع الـدولي والاقليمـي فيهـا التـي شـملت قـوى عالميـة ذات تأثـير فاعـل ومهيمـن في النظـام العالمـي كالولايـات المتحـدة الامريكيـة.

ودول اخـرى تسـعى الى دور عالمـي واقليمـي كروسـيا والصـين وقـوى اوربيـة وقـوى اقليميـة فاعلـة (تركيـا وإيـران) دخلـت ميـدان الـصراع والتنافـس ولاسـيما بعـد انتهـاء الحـرب البـاردة سـنة (١٩٩١) واحتـلال العـراق مـن قبـل الولايـات المتحـدة الامريكيـة سـنة ٢٠٠٣.

لقـد تجـلّى الـصراع التركـي الايرانـي في المنطقـة والعـراق بخاصـة بعـدة صـور سـنبحث بهـا بإيجـاز مـن خـلال ابـراز الموقـع الجغـرافي لتركيـا وإيـران فبعـد ان تحدثنـا عـن مقومـات الموقـع الجغـرافي للعـراق سـوف نسـتعرض بإيجـاز الموقـع الجغـرافي لتركيـا وإيـران ان الموقـع الجغـرافي لتركيـا وإيـران يأتـي في مقدمـة المقومـات الجغرافيـة الاساسـية التـي تصنـع العوامل التـي تتأثـر بهـا الوحـدات السياسـية وذلـك لمـا للموقـع مـن وزن وتأثـير يتعلـق بوجـود الدولـة والـدور الـذي تسـهم بـه بالنسـبة لكيانهـا الذاتـي مـن ناحيـة وعلاقاتهـا الدوليـة مـن

ناحيـة اخـرى. (الشـامي، ١٩٩٩، صفحـة ٤٧)

وعـلى اعتبـار ان الدولتـين تمتلـكان مقومـات الموقـع الجغـرافي المتميـز سـاهمت في خلـق الـصراع بينهمـا وتظهـر المقارنـة التـي يمكـن اجراؤهـا بـين موقـع كل مـن تركيـا وإيـران السـمات الجيوبولتكيـه لهمـا والاعتبـارات الجغرافيـة للعلاقـات التركيـة الايرانيـة (اوغلـو، ٢٠١٠، صفحـة ٤٦٢) حيـث تقـع كلتـا الدولتـين تركيـا وإيـران عـلى نفـس خـط الاتصـال الجنوبـي الاسـيوي- الاوربـي وبذلـك يمكـن لهمـا تحقيـق بديـلا للعبـور الى منطقـة السـهوب، عـبر الممـر الشـمالي الـذي يتحكـم بـه الـروس بمفردهـم.. كمـا تمتلـك كلتـا الدولتـين حـدودا مبـاشرة مـع القوقـاز التـي تشـكّل خـط الانتقـال المركـزي الشـمالي- الجنوبـي للقـارة الام (اوراسـيا).

ومـن خـلال النظـر الى خريطـة الموقـع الجغـرافي نجـد ان تركيـا تتصـل باثنـين مـن البحـار المهمـة همـا (البحـر المتوسـط والبحـر الاسـود) وفي المنتصـف بحـر مرمـرة الـذي يفصـل قـارة اسـيا عـن اوربـا في حـين نجـد ان ايـران ايضـا تتصـل باثنـين مـن البحـار(بحـر قزويـن وبحـر العـرب) الـذي تتصـل مـن خلالـه بالخليـج العربـي وخليـج عمـان وبهـذا نجـد ان كلتا الدولتـين تشـكلان قـوة غـرب اسـيا حيـث ترتبـط تركيـا مبـاشرة باوربـا الجنوبيـة وترتبـط ايـران بجنـوب اسـيا كل هـذه المقومـات شـجعت الدولتـين عـلى اتبـاع سياسـة خارجيـة خاصـة بعـد التطـورات التـي حدثـت عـلى السـاحة العربيـة (الربيـع العربـي) واحتـلال العـراق الى البحـث عـن مكاسـب سياسـية واقتصاديـة وعسـكرية بـين تلـك الـدول في محاولـة لأضعـاف دول المـشرق العربـي مسـتغلين ضعـف النظـام العربـي ورغبهـم في الحصـول عـلى امتيـازات جديـدة مـن خـلال التدخـل في الشـؤون الداخليـة لتلـك الـدول كمـا هـو الحـال في اليمـن وسـوريا والعـراق وغيرهـا مـن المناطـق وفيمـا يخـص موضـوع البحـث نجـد ان هاتـين الدولتـين ظهـرت لهـم اطمـاع جديـدة بعـد انهيـار نظـام الحكـم بالعـراق بعـد عـام ٢٠٠٣ واصبـح العـراق محـط انظـار كلتـا الدولتـين للتدخـل والتوسـع عـلى حسـاب مصالـح العـراق وسـيادته.

متخذيـن مـن بعـض المشـاكل وسـيلةً لتحقيـق اطماعهـم وسـوف نسـتعرض العوامـل التـي اثـرت عـلى سياسـة العـراق لحسـن الجـوار تجـاه تركيـا وإيـران.

ففـي هـذا المجـال نجـد ان المشـكلة الكورديـة كانـت مـن بـين اهـم القضايـا التـي كانـت ومـا تـزال تشـغل بـال تركيـا وإيـران في علاقاتهمـا مـع العـراق وذلـك لوجـود اقليـة كورديـة في كلتـا الدولتـين وظهـور حـركات عصيـان كورديـة ضـد حكومـات تلـك الـدول ففـي الوقـت

الذي حصل فيه اكراد العراق على حقوقهم منذ اعلان بيان الحادي عشر من اذار ما زال اكراد تركيا وإيران محرومين من هذه الحقوق فكان لظهور اقليم فدرالي كوردي في شمال العراق (اقليم كوردستان العراق) من الموضوعات التي اثارت قلق حكومات تلكما الدولتين.

إن ما يقلق الحكومة التركية على سبيل المثال هو انطلاق نشاطات حزب العمال الكوردستاني pkk من كوردستان العراق ولاسيما بعد الاحتلال الامريكي ويعد ذلك أكبر تهديد أمني بالنسبة لها.

خشية من قيام دولة كوردية محتملة من شمال العراق لذلك كانت تركيا وماتزال تبدو عدم رضاها عن التحالف بين الولايات المتحدة واكراد العراق مما دفعها الى الاتجاه نحو التعاون مع إيران التي يقوم حزب العمال الكوردستاني pjak فيها بنشاطات ويقوم باستمرار بمهاجمة مراكز الشرطة الحدودية والتجمعات العسكرية الايرانية الامر الذي دفع كلتا الدولتين الى زيادة التقارب بينهما والقيام بعمليات عسكرية مشتركة تحد من تأثير تلك العمليات ومحاولة القضاء عليها. (حقي اوغور، ٢٠١٠، صفحة ٢٢٩)

ففي الوقت الذي كانت الولايات المتحدة منذ عام ١٩٩١ تمنع القوات المسلحة العراقية من مساعده اكراد العراق واستخدمت القوات الجوية لمنع هذه المساعدة. الا انه بعد عام ٢٠٠٣ أصبح هناك تغير في موقف الولايات المتحدة من عناصر حزب العمال الكوردستاني pkk في شمال العراق. الذي عدّ منظمة إرهابية وسعت الى مكافحة ومنع التسليح عنه حماية للأراضي التركية، وبذلك بدأت تركيا تشعر بالاطمئنان من الموقف الامريكي الذي لم يعد يتدخل بهذا الشأن ومن الامور التي تشغل السياسة التركية حيال العراق هي قضية كركوك حيث ترتبط هذه القضية بالقضية الكوردية فالحكومات التركية كانت وما زالت تسعى إلى الحفاظ على حقوق التركمان في كركوك. لقد شجع الاكراد في اقليم كوردستان الحكومة التركية الى المطالبة بمنح تركمان العراق من محافظة كركوك كافة الحقوق زيادة على حكم ذاتي لهم لهذا وجد الاتراك ما يبرز تدخلهم في الشؤون الداخلية وعلى الرغم من الرفض المستمر من حكومة بغداد وحتى دول التحالف الدولي الا ان استمرار هذا التدخل سوف يؤثر سلبا على علاقة تركيا بالاتحاد الاوربي ولان الفوضى سوف تمتد من شمال العراق الى جنوب شرق تركيا حيث الغالبية من الاكراد لقد ذكرنا سابقا ان تغير الوضع الراهن في العراق

واحتلاله من قبل الولايات المتحدة كان دائما محل جدل ونقاشات ما بين دول الجوار الجغرافي للعراق خاصة تركيا وايران وكانت ابرز تلك المخاوف هو احتمال قيام دولة كوردية فدرالية لذلك جرت عدة اتصالات بين تلك الدول حيث تم عقد ثلاثة اجتماعات على التوالي بإسطنبول وطهران وكذلك في سوريا التي كانت تخشى من قيام الدولة الكوردية لبحث المسألة العراقية وكانت هذه الآلية من عوامل تقريب تركيا الى الجوار العربي الاسلامي. (محمد نور الدين، ٢٠٠٨، الصفحات ٢٨-٢٨٧)

لقد خسرت تركيا كثيرا نتيجة للاحتلال الامريكي للعراق تمثلت كما ذكرها محمد نور الدين:

١- تمركز قوات حزب العمال الكوردستاني pkk في مناطق واسعة في شمال العراق.

٢- اقرار صيغة النظام الفدرالي ونجاح الاكراد في تحقيق حكمهم الفدرالي وتراجع موقع التركمان بعد اتباع سياسة التغيير الديموغرافي في كركوك

٣- اسقاط النظام السابق

والاهم تزايد النفوذ الايراني الذي اخذ يقلق الاتراك كثيرا ومع ذلك استطاع الاتراك لعب الدور المهم في العراق وتجلى ذلك في تقرير بيكر-هاملتون ف ت٢ ٢٠٠٦ لقد اتخذت تركيا من القضية الكوردية ومسالة كركوك كذريعة للتدخل في الشؤون العراقية في محاولة منها لبسط سيطرتها على أكبر مساحة ممكنة وفي محاولة منها للحد من التوسع الايراني وتأثيراتها على القرار العراقي.

خاصه وان إيران اخذت تلعب دورا مهما في رسم معالم السياسية العراقية وتوجهها بما يخدم مصالحها الذاتية.

هنا بدأ الصراع بين الجارتين تركيا وإيران في محاولة منهما لفرض إرادتهما وتأثيرهم على القرار السياسي العراقي خاصة وان الولايات المتحدة الامريكية اخذت تخشى من الدور الايراني في العراق إذا ما علمنا ان العلاقة بين إيران والولايات المتحدة اخذت بعد احداث ١١ ايلول ٢٠٠١ تشهد المزيد من التوتر اذ وصف الرئيس الامريكي الاسبق (جورج بوش) إيران بانها إحدى دول ما يعرف بمحور الشرّ.

بعد احتلال العراق شنت الولايات المتحدة حمله عالمية على البرنامج النووي الايراني وزادت من ضغوطها الى درجة التلويح بحرب عسكرية وزيادة العقوبات الاقتصادية على إيران (ماجد شرقي، الملف النووي الايراني ومستقبل العلاقات الامريكية-الايرانية، ٢٠٠٩، صفحة ١٢٢) فقد أدركت الولايات المتحدة ان قيام دور فاعل لإيران في المنطقة

يتعارض مع مصالح الولايات المتحدة في منطقة المشرق العربي بعامة والعراق ومنطقة الخليج العربي بخاصة. وعلى الرغم من المعارضة الامريكية للدور الاقليمي الايراني فلا تزال هناك مصلحة امريكية تقضي اما الابقاء على قنوات اتصال مع ايران او انتهاج إستراتيجية جديدة قد تغير النظام في ايران (ماجد شرقي، الدور الايراني في الشرق الاوسط بعد الحرب على الارهاب، ٢٠٠٨) من خلال دعم المعارضة الايرانية وانتهاج مبدأ العقوبات الاقتصادية لذلك تسعى الولايات المتحدة الى اضعاف الدور الايراني في المنطقة لأنّه يتعارض مع مصالحها ويهدد حليفها (اسرائيل) لذلك سارعت الى تشكيل ما يعرف بالاعتدال العربي- الاسلامي لمواجهة ما تسميه بالخطر الايراني المتنامي في هذه المنطقة التي هي عقدة الصراعات الدولية والاقليمية, وعلى هذا الاساس تسعى الولايات المتحدة الامريكية وتركيا ضمنيا الى عزل ايران عن الساحة السياسية الاقليمية والدولية.

وعلى الجانب الاخر تحاول إيران تجاوز عزلتها بإدامة زخم قدرتها لكي تكون القوة المسيطرة في المنطقة وان تكون لها الكلمة العليا في شؤونها وهذا ما تفعله إيران في العراق احدى اهم دول المنطقة وهي بذلك تفرض هيمنتها في الهيكل الامني والاقليمي. لقد اتضحت معالم المشروع الايراني بعد الثورة الاسلامية كقوة في المنطقة كونها امتلكت مشروعا تجاوزت فيه الخطوط العريضة للحدود الجغرافية الايرانية واعلنت نفسها ندا للمشاريع الغربية ومنها الامريكية الاسرائيلية في المنطقة. وبعد حرب احتلال العراق وتدميره من قبل الولايات المتحدة وحلفائها وضعت إيران مشروعا جديدا باسم (الاستراتيجية الايرانية العشرينية) ٢٠٠٥-٢٠٢٥ في وثيقة رسمية تصنع التطورات المستقبلية للدور الايراني في العشرين سنة القادمة (علي حسن اكبر، ٢٠١٣، صفحة ٦٢), لقد برزت عدة سياسات في وضع اسس المشروع الايراني في منطقة الشرق العربي منها.

١- العمق المذهبي. حيث قادت إيران بعد نجاح الثورة الاسلامية فيها حمله واسعه لنشر هذا المذهب في دول المنطقة في محاولة منها لكسب أكبر تأييد سياسي لها، فظهر المشروع الايراني في العراق ودول الخليج العربي وكذلك من التأييد في لبنان وفلسطين وسوريا فقد سعت إيران دائما للنفوذ الى العراق لان العراق يمثل الجسر البري الذي تمر من خلاله إيران الى دول المنطقة ولاسيما التي يعيش فيها الشيعة كالبحرين والكويت والسعودية ويتمثل اساس هذا المشروع في مستويات متعددة اهمها محاولة دعم السفور المذهبي في دول المنطقة. لهذا يتحرك المشروع الايراني على وفق نمط ايديولوجي

يهدف الى انتشار التشييع ومحاولة سحب المذاهب الاخرى (الزيدي، والعلوية) تحديدا الى المذهب الاثنى عشري كما في سوريا واليمن للمذهب المتبع في إيران ودعم الشيعة العرب في العراق (فادية شامية، ٢٠١٣) وهذا ما يجري حاليا من دعم الحوثيين في اليمن بالمال والسلاح وكذلك دعم غير محدود للنظام السوري ضد المعارضة السورية لذلك نجد ان العمق المذهبي يعد من الاسس الجيوبولتكيه المهمة لإيران في المنطقة.

٢- التوجه القومي (الفارسي). وتفتخر بانها تمتلك أقدم الحضارات لهذا اصبحت علاقاتها مع جيرانها من الدول العربية تمتاز بالتنافر والنزاع رغم ان الدين كان له الدور الفاعل والبارز في السياسة الايرانية بعد مجيء النظام الجمهوري وعليه يمكن القول ان السياسة الايرانية تجاه دول المنطقة ومنها العراق هي سياسة أمن قومي بالمعنى الشامل يجتمع عليها الايرانيون بغض النظر عن توزيعهم السياسي.

وبالتالي فان المنطقة ودولها يجب ان تأخذ هذا التحدي بالحسبان في المستقبل من خلال التركيز على المشروع القومي العربي والتعدد الحضاري والثقافي منه. (ماجد حسام، ٢٠١٤، صفحة ٢١٥)

٣- المصالح المشتركة. ان فقدان الثقة بين بعض الدول العربية وإيران وغياب الحوار بشأن القضايا الخلافية الجغرافية والسياسية والامنية والمذهبية بينهما ولد توترا وتباعدا في العلاقات بين الطرفين على حساب التقارب والتلاقي والتفاهم اللذين يفرضهما التاريخ والحضارة والمصالح المشتركة لكليهما. كما سهل للقوى الدولية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل لإيجاد ثغرات بين دول شعوب المنطقة بهدف تركها ضعيفة ومتزاحمة وتابعة لقوى الهيمنة الخارجية.

٤- الدور الاقليمي. لقد هدف الدور الايراني الى لعب الدور الاقليمي من خلال الممارسات الايرانية في العراق. ومن العلاقة التي تجمعها مع حزب الله وحركة حماس الجهاد والاسلامي والعلاقة القوية مع الحوثيين في اليمن بالإضافة الى العلاقة الاستراتيجية مع النظام السوري ان الوجود الايراني الدائم في المنطقة سيجعل إيران شريكاً اساسياً مع القوى العظمى في الجلوس على طاولة المفاوضات (الولايات المتحدة الامريكية وإيران في العراق) (ودول مجلس الامن الدائم وإيران) في جنيف بسبب البرنامج النووي الايراني. ولعل الحوار الايراني الامريكي في العراق في اثناء الاحتلال يقوم على التفاهم على تأثير الدولتين لذلك عمل كل طرف على التحريض على الطرف الاخر من خلال التراجع اولا عن النفوذ في العراق، فإيران كانت تقول ان عدم الاستقرار في العراق ناتج عن استمرار

التدخل الامريكي ويدعو بذلك الى رحيله بينما الولايات المتحدة تقول ان عدم الاستقرار في العراق بسبب التدخل الايراني الكبير في شؤون العراق وتدعو إيران الى التوقف عن هذا التدخل.

٥- البرنامج النووي: رغم محاولات ايران لتسويق برنامجها النووي على انه ثمرة التقدم العلمي والاقتصادي الا ان انعدام الثقة بين الدول العربية وايران من جهة وغياب التعاون والتنسيق فيما بينهما من جهة اخرى فقد كانت هناك مخاوف عن حقيقة هذا البرنامج الذي تدعي ايران انه برنامج نووي سلمي في حين يمكن التخوف من مستقبل هذا البرنامج ليتحول الى برنامج عسكري لقد اعتمدت ايران سياسة المناورة لكسب الوقت في عملية التفاوض مع الاوربيين لإقناعهم بسلمية البرنامج النووي لو في الاقل لاستعادة الثقة المفقودة بين الطرفين نستنتج من ذلك ان التوسع الايراني في المنطقة ومحاولة مد نفوذها الى دول المشرق العربي قد اثار غضب الولايات المتحدة الامريكية التي اخذت تشعر بمدى خطورة التطلعات الايرانية وبالتالي فان ايران تسعى من خلال دورها الفاعل في العراق الى تقويض الوجود الامريكي في العراق حيث تعتبر ان وجود القوات الامريكية سوف يعرقل سعيها لتحقيق اهدافها الاستراتيجية في المنطقة. وبالتالي فان بقاء القوات الامريكية داخل الاراضي العراقية وفي بعض دول المنطقة سوف يربك الوضع السياسي والاقتصادي لدول المنطقة وقد يصل الحال الى التصادم المسلح بين إيران والولايات المتحدة من خلال التنظيمات المسلحة التي تجد في الوجود الامريكي سببا في تدهور الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في العراق.

المراجع

احمد داود اوغلو. (٢٠١٠). العمق الاستراتيجي لموقع تركيا ودورها في الساحة الدولية. (محمد جابر، و طارق عبد الجليل، المترجمون) بيروت: دارالعربية للعلوم.

حقي اوغور. (٢٠١٠). تركيا وايران- البحث عن حالة الصدام من تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخارج. بيروت: الدار العربية للنشر.

صلاح الدين علي الشامي. (١٩٩٩). دراسات في الجغرافية السياسية (المجلد ٢). الاسكندرية: منشأة المعارف.

علي حسن اكبر. (٢٠١٣). ايران والتنافس شرق اوسطي بذرة المشروع الايراني في المنطقة العربية الاسلامية, مركز امية للبحوث والدراسات الاسلامية. عمان: دار عمان للنشر.

فادية شامية. (٢٠١٣). المشروع الايراني في ضوء الدول العربية – ذروة المشروع الايراني. مركز امية.

فلاح جمال معروف، و اخرون. (٢٠١٣). الاساس في جغرافية العراق الطبيعية والبشرية. بغداد.

ماجد حسام. (٢٠١٤). التنافس التركي-الايراني المعاصر في منطقة المشرق العربي، رسالة دكتوراه غير منشورة. بغداد: جامعة بغداد –كلية التربية ابن رشد.

ماجد شرقي. (٢٠٠٨). الدور الايراني في الشرق الاوسط بعد الحرب على الارهاب. مجلة دراسات ايرانية(٢).

ماجد شرقي. (٢٠٠٩). الملف النووي الايراني ومستقبل العلاقات الامريكية-الايرانية. مجلة دراسات ايرانية(٣).

محمد نور الدين. (٢٠٠٨). تركيا تركيا للصيغة والدور بيروت. الرياض: الريس للكتب والنشر.